- **أهل السُّنَّة يثبتون العلم بالمعنَى وينفون العلم بالكيفيَّة :**

فهم يثبتون معاني تلك الأسماء والصِّفات، لأنَّ الله خاطبنا بما نفهم معناه، قال تعالى:{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [(2) سورة يوسف]، وينفون العلم بكيفيتها لأنَّه لم يخبرنا بكيفيتها، ولأنَّ إدراك حقيقة كيفيتها أكبر من قدراتنا البشريَّة، قال تعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [(110) سورة طه]، لا كحال بعض أهل البدع الَّذين قالوا نثبت أسماء وصفاتٍ من غير إثباتٍ لمعناها!، ولا كحال بعضهم الآخر الذين أثبتوا لها كيفيَّةً معينة إفتراءً عليه ومن غير دليلٍ شرعيٍ، وأنَّا لهم ذلك، قال الإمام مالك ﷺ لمَّا سأله أحدهم عن كيفية استواء الله؟! فأجابه: " الكيف غير معقولٍ، والاستواء منه غير مجهولٍ، والإيمان به واجبٌ، والسُّؤال عنه بدعةٌ، فإنِّي أخاف أن تكون ضالًا " وأَمَرَ به فأخرج [اللَّالكائي 441/3].

- **إثبات نصوص الأسماء والصِّفات على ظاهرها ولا مجاز فيها:**

والمعنى أنَّ خطاب الله ورسوله ﷺ سواءٌ في الكتاب العزيز أو في السُّنَّة المطهرة في باب الأسماء والصِّفات خطابٌ واضحٌ بيِّنٌ ظاهرٌ لا إشكال ولا غموض فيه، إذ هو كما قال تعالى في وصف كلامه:{بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ} [(195) سورة الشعراء]، وكما قال ﷺ في وصف ما حباه الله به من حُسن البيان: "وأوتيت جوامع الكلم" [مسلم: 1199]، وعلى هذا فلا حجَّة لأهل البدع الَّذين نفوا معاني أسماء والله وصِّفاته، ولا حجَّة أيضًا لمن حرَّفها منهم وتكلَّف لها معاني غير مرادةٍ ولا هي الظَّاهر من معناها، وقال إنَّ المراد بها المجاز!، قال الإمام ابن عبد البَّر المالكي ﷺ: " أهل السُّنَّة مجمعون على الإقرار بالصِّفات الواردة كلِّها في القرآن والسُّنَّة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا المجاز..." [التَّمهيد 135/7]، وقال الإمام السِّجزي ﷺ: " الواجب أن يُعلم أنَّ الله تعالى إذا وصف نفسه بصفةٍ، هي معقولةٌ عند العرب، والخطاب ورد بها عليهم بما يتعارفون بينهم.. فهي على ما يعقلونه ويتعارفونه" [الرَّد على من أنكر الحرف والصَّوت 227].

- **طريقة إثبات نصوص الأسماء والصِّفات عند أهل السُّنَّة:**

كما أنَّ طريقة أهل السُّنَّة المتَّبعين لمذهب السَّلف الصالح في باب الأسماء والصِّفات، أنَّهم يثبتون الأسماء والصِّفات إثباتًا **مفصَّلًا**، فيقولون مثلا: الله سميعٌ، بصيرٌ، حيٌ، قيومٌ، قويٌ، شديدٌ، وهكذا... كما جاء في القرآن والسُّنَّة مفصلًا، بينما عند النَّفي؛ فينفون عنه صفات النَّقص ومشابهة المخلوقين **إجمالًا** ولا يعدِّدونها واحدةً واحدةً، لِمَا في عدم تَعدادها من الأدب الواجب مع الله سبحانه، كما قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [(11) سورة الشورى]، وكما قال أيضًا: " {وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [(4) سورة الإخلاص]، قال الإمام ابن منده ﷺ : " فوصف الله نفسه بالسَّميع والبصير واليمين، وانتفى من التَّمثيل والتَّقدير " [التَّوحيد لابن منده 16/2].

قواعد أهل السُّنَّة والجماعة في باب الأسماء والصِّفات

مقدمة:

كَثُرَ في بلادنا مؤخرًا التَّلبيس على عامة النَّاس من دعاة الضَّلالة في أمور الدِّين عمومًا، وكان من أشنع ما اجترأ عليه هؤلاء خصوصًا إفساد عقيدة المسلمين في أهمِّ ركنٍ من أركان الملَّة والدِّين ألا وهو ركن الإيمان بالله وبأسماءه وصفاته. ومعلومٌ أنَّ الانحراف في هذا الباب الأعظم، قد يؤدي بصاحبه إلى الكفر –والعياذ بالله– ولهذا قمنا بجمع قواعد عامَّة تعين المسلم على تحقيق الاعتقاد الواجب في هذا الباب، وكذلك تحميه من شبهات أهل الزَّيغ والارتياب!

من تلك القواعد:

- **أسماء الله وصفاته من أمور الغيب الَّتي لا تُثبت إلَّا بالوحي:**

معلومٌ عند كلِّ مسلم أنَّ الله سبحانه وتعالى غيبٌ بالنِّسبة لنا، فلولا أنَّه تعرَّف إلينا بوحيه وذكر لنا جملةً من أسماءه الحسنى وصفاته العليا لما وصلت إلى الكثير منها عقولنا، ولطاشت فيها فهومنا، إذ لا مجال للعقل في إدراك الغيبيات عمومًا، وخصوصًا في ما يتعلَّق به سبحانه، إذ هو الخالق ونحن المخلوقون! وهو الكامل ونحن النَّاقصون!.

- **مصادر إثبات أسماء الله وصفاته ثلاثةٌ فقط:**

لا يمكن إثبات شيءٍ من أسماء الله وصفاته إلَّا بأحد ثلاثة مصادر وهي: الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة وإجماع علماء أهل السُّنَّة والجماعة ولا يتُجاوزهما، ذلك لأنَّه لا أحد أعلم بالله من الله، ولا أعلم به من خلقه من رسله، قال الإمام ابن عبد البرِّ المالكي ﷺ: " ليس في الاعتقاد في صفات الله وأسماءه إلَّا ما جاء منصوصًا في كتاب الله، أو صحَّ عن رسول الله ﷺ، أو أجمعت عليه الأمَّة... " [جامع بيان العلم وفضله 934/2].

- **وصف رسول الله ﷺ لربِّه قوليٌ وفعليٌ وإقراريٌ:**

وهذه القاعدة مكمِّلةٌ لما مضى من إثبات ما أثبته الرَّسول ﷺ لربِّه من الأسماء والصِّفات، إذ أنَّه قد تنوعت طرق هذا الإثبات في السُّنَّة الصَّحيحة، فمثلًا إثبات صفة العلو كان:

قوليًا، مثل قوله ﷺ:" سبحان ربِّي الأعلى..." [مسلم: 772].

وفعليًا، من مثل ما ثبت في حديث خطبة حجَّة الوداع أنَّه ﷺ كان يشير بأُصبعه إلى السَّماء، ويقول: " اللَّهم فاشهد" [مسلم: 1218].

وإقراريًا: ما ثبت في حديث الجارية الَّتي سألها النَّبي ﷺ قائلًا: " أين الله ؟ "، قالت: في السَّماء، فقال لسيِّدها: " أعتقها فإنَّها مؤمنةٌ " [مسلم: 537].

- **إثبات الأسماء والصِّفات يستحيل أن يتعارض مع الفطر والعقول:**

والمعنى أنَّه علينا أن نتيقَّن استحالة تعارض ما أُثبت في الكتاب العزيز والسُّنَّة الصَّحيحة من الأسماء والصِّفات مع العقول الصَّريحة والفطر السَّويَّة وإذا قُدِّر حدوث شيءٍ من هذا التَّعارض لبعض النَّاس وكان النَّقل صحيحًا، فهذا إمَّا لأنَّ فطرتهم غيرُ سويَّةٍ أو أنَّ عقولهم غيرُ صريحةٍ! وحين إذن وجب عليه إتِّهام العقل وتقديم النَّقل على أيِّ حالٍ، قال الإمام الشَّافعي ﷺ: " لله أسماءٌ وصفاتٌ جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيُّه ﷺ أمَّته، لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحُجَّة ردُّها.. لأنَّ علم ذلك لا يدرك بالعقل " [إجتماع الجيوش الإسلامية 165]، وقال أبو القاسم التَّيمي ﷺ: " ولا نُعارض سُنَّة النَّبي ﷺ بالمعقول، لأنَّ الدِّين إنَّما هو الانقياد والتَّسليم، دون الردِّ إلى ما يوجبه العقل" [الحجَّة 549/2].

- **تحقيق الإيمان بالأسماء والصِّفات يكون بالإثبات والنَّفي:**

أي: بإثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله ﷺ في صحيح سنَّته، كقوله تعالى: {وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [(11) سورة الشورى]، وكقوله ﷺ: " إنَّ الله تعالى حييٌ ستيرٌ "[صحيح الجامع: 1756]، مع نفي ما نفاه الله عنه نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ ومن ذلك نفي مشابهة المخلوقين، كقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [(11) سورة الشورى]، ونفي النَّقص والعيب كقوله ﷺ : "إنَّ الله ليس بأعور، ألا إنَّ المسيح الدَّجال أعور العين اليمنى.. " [البخاري: 3439]، خلافًا لأهل البدع الَّذين إمَّا أنَّهم أثبتوا صفاتٍ تماثل صفات المخلوقين، أو نفوها كليَّةً بزعم دفع النَّقص والتَّمثيل وهم في الحقيقة إنَّما نفوا عنه كماله الواجب، وطريقة أهل السُّنَّة والجماعة وسط بين الطريقتين، كما في قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [(11) سورة الشورى]، فالله جمع بين نفي النَّقائص والآفات والإثبات للمدائح والكمالات.

- **طريقة الإثبات والنَّفي عند أهل السُّنَّة والجماعة:**

ينتبه إلى أنَّ أهل السُّنَّة يثبتون أسماء الله وصفاته على الوجه اللَّائق بجلاله وعظمته سبحانه، كقوله تعالى عن أسماءه: {وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى} [(180) سورة الأعراف] أي: البالغة في الحسن غايته، وكقوله عن صفاته: {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى} [(60) سورة النحل] أي: الوصف الأعلى، وما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ فإنَّ المراد به إثبات كمال ضدِّه، فالمراد من قوله تعالى مثلًا: {لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ} [(255) سورة البقرة]؛ إثبات كمال ضدِّ تلك الصِّفات، أي أنَّ الله لا يلحقه نعاسٌ ولا نومٌ لكمال حياته وقوَّته وقيوميَّته سبحانه وتعالى، ذلك لأنَّ النَّفي المحض لا يستلزم كمالًا؛ وما كان كذلك فلا مدح فيه، فلو وصفت جمادًا أنَّه لا يتعب!، لم يكن ذلك مدحًا له، لأنَّ الجماد لا يقبل التَّعب أصلًا لأنَّه لا حياة فيه!، بخلاف الصِّفات المنفيَّة عن الله سبحانه فإنَّها موجبةٌ للمدح لأنَّها تستلزم الكمال.